دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	تعليم التخطيط والتسعينيات : آفاق الشرق ـ غرب والشمال ـ جنوب الجديدة
المصدر:	المستقبل العربى
الناشر:	مركز دراسات الوحدة العربية
المؤلف الرئيسي:	مصطفى، عدنان
المجلد/العدد:	مج14, ع155
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1992
الشهر:	يناير
الصفحات:	157 - 168
رقم MD:	712471
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	مؤتمرات
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/712471

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

«تعليم التخطيط والتسعينيات»: «آفاق الشرق ـ غرب، والشمال ـ جنوب الجديدة»(*)

عدنان مصطفى

استاذ في الفيزياء وزير النفط والثروة المعدنية الأسبق (سوريا).

فاقت سنوات الثمانينيات الماضيات سواها من سنوات هذا العصر بظواهرها المثيرة التي شملت نماء الانسان والبيئة التي تحتوي بقاءه. فرغم خضوع بعض تلك الظواهر للجانب المظلم من وجودنا، كظاهرة الدفآن العالمي المخيفة، نجد بعضها الآخر يتوطّد في الجانب المضيء منه ليصبح مؤئل تقدم حضاري انسانيّ واعدٍ في مسيرة بقائنا البشري على هذا الكوكب. وإذ نميّز الأثرين الحضاري والمدنيّ لتَكَشُّفِ العديد من **ظواهر العلم الفائقة (Super Phenomena of Science)** ـ كالحواسب الالكترونية فائقة الامكانية التي تشكّل اليوم مفاتيح سبيلنا نحو الحقيقة، والنواقل الكهربائية مفرطة الناقلية التي يتوقع منها أن تصنع فتحاً في ميدان الطاقة، **وظاهرة التناظر الفائق** التي تعمل اليوم على نظم وعينا الموحّد للكون الذي يحتوينا، **والخيوط المتفوقة**[1] التي تشد فكرنا الفيزيائي إلى موقع وعي جديد يمكننا من إجراء رؤية موحدة للقوى التي تنظّم الوجود كله[2]... ـ تبقى **ظاهرة وعي حقيقة وحدة بقاء الانسان والحفاظ على بيئة وجوده الأرضية**، هي محور النماء الفكري اليوم[3]. فالشرخ الكبير الذي أصاب مرآة روح المجتمع البشري منذ منتصف عقد الأربعينيات من هذا القرن وحتى اليوم أصبح ملموساً على الصعيدين الواقعي والأخلاقي، ليس من قبل المجتمعات المُرْهَصَة على هذا الكوكب فحسب، بل من قبل المجتمعات المتقدمة التي كانت أنانيتها التنموية وراء هذا الشرخ. ونجد في تقارير لجنة برانت ولجنة

(*) تقرير عن «مؤتمر ايزوب السنوي الرابع» الذي انعقد في ريجيو كالابريا، ايطاليا، ١٥ ـ ١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠.

(١) Superstrings.

(٢) Anthony Philip French. *Physics in a Technological World* (New York: American Institute of Physics, 1988).

(٣) عدنان مصطفى، **سبيل إلى نماء مشرق: رؤية محمد عبد السلام** (دمشق: مجموعة المغناطيسية النووية والطاقة، ١٩٨٧).

برونتلاند[٤] خير تعبير عن هذه الحقيقة. والثغرة متزايدة الاتساع بين الوجودين المدنيين لعالمي الشمال والجنوب، لم يعد يبصر عواقب استمرارها مفكرو العالم النامي، بل جملة متكاثرة من مفكري العالم المتقدم. ويمكن تلمّس عمق هذه البصيرة من خلال تقرير أ. محمد عبد السلام الذي تقدّم به إلى كل من لجنة الجنوب ومؤتمر عدم الانحياز الأخير[٥]. اضافة إلى تقرير لجنة الجنوب التي يرأسها الرئيس نيريري[٦]. وفي اطار **ظاهرة الوعي الفائق هذا**، انعقد **مؤتمر ايزوب السنوي الرابع** في مدينة ريجيو كالابريا الايطالية، وتحت شعار **تعليم التخطيط والتسعينيات: آفاق الشرق ـ غرب والشمال ـ جنوب الجديدة**، حضره ما لا يقل عن ١٦٥ شخصاً جاءوا من غرب القارة الأوروبية وشرقها، ومن شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوبه.

وفي ما بين فصليّ الافتتاح والاختتام، انعقدت فصول المؤتمر المتخصصة بشكل متواز ضمن قاعات قلعة **ألطف عمارة Altafi-Umara** المطلّة على مضيق مسينا، فذكرتنا، نحن الحضور العرب، برحلة نشر الحضارة العربية ـ الإسلامية في جنوب ايطاليا، وبخاصة في جزيرة صقلية.

أولاً: منظمة ايزوب وتوجهات المؤتمر

عبر فصل افتتاح المؤتمر، تناغمت كلمات كل من: د. انريكو كوستا (رئيس المؤتمر) ود. كلاوس كونتزمان (رئيس منظمة ايزوب) ود. جيورجيو بيشيناتو (نائب رئيس منظمة ايزوب) موضحة عقيدة عمل ايزوب، وتوجه المؤتمر الرابع هذا، **وإنماء نظام التخطيط العلمي في اطار تعليم عال متطور**، نوجز فيما يلي ملامحها الرئيسية:

ـ منظمة ايزوب

تعكس الأحرف الأولى لاتحاد مدارس التخطيط الأوروبية (Association of European Schools of Planning) كلمة ايزوب (Aesop). وتضم منظمة ايزوب ـ أي اتحاد مدارس التخطيط الأوروبية ـ في الوقت الراهن قرابة ٩٠ مؤسسة تعليمية، توفر التدريب على تخطيط العمران والبحث العلمي فيه ضمن ٢٢ بلداً. وبالإضافة إلى الرغبة بتنسيق جهود مدارس التخطيط الأوروبية وتصعيد تفاعلها مع مثيلاتها في أقطار الجنوب قامت (منظمة ايزوب) على الأصول التالية:

١ ـ ثمة عدد صغير من مدارس تعليم التخطيط يبدي فعله في إطار التدريب والتعليم والبحث العلمي (باستثناء المملكة المتحدة)، الأمر الذي يحفز الحاجة إلى ربط هذه المدارس معاً في شبكة فاعلة تتمكن من **توفير الوزن الحرج القادر على إعطاء تعليم التخطيط بعده الفعلي كنظام علمي مستقل**.

---

(٤) Wily Brandt, *Common Crisis, North South: Cooperation for World Recovery* (London; Pan Books, 1983), and Gro Harlem Brundtland, *Our Common Future* (London: Oxford University Press, [n.d.]).

(٥) محمد عبد السلام، «انطباعات حول العلم والتقنية وتعليم العلوم في تنمية أقطار الجنوب،» (تريستي، ايطاليا، أكاديمية العالم الثالث للعلوم، ١٩٩٠). (تقرير).

(٦) J.K. Nyerere, *The Challenge to the South*, Report of the South Commission (London : Oxford University Press, 1990).

٢ ـ يزداد البعد الدولي للتخطيط والمسائل البيئية امتداداً في القارة الأوروبية. كما تبدي سياسة المجموعة الأوروبية اعتماداً متزايداً على هذا البعد، ويوفر قيام ايزوب وسيلة فعالة لتراسل شتى الأفكار والتقنيات الخاصة بإظهار هذا البعد.

٣ ـ تحدّ الحواجز السياسية واللغوية من جهود تطوير المعرفة الخاصة بالتخطيط (بشكليه العملي والنظري)، ويعتقد بأن قيام ايزوب سيشكل جسراً يفوق تلك الحواجز يمكن عبره نقل فعاليات تبادل المعرفة بين مختلف البلدان، وشد أزر التخطيط كنظام علمي مستقل.

٤ ـ ويشكل قيام ايزوب أرضية عالمية صلبة لإجراء بحوث علمية مقارنة، وتصعيد وتائر تبادل الأساتذة وطلاب التخطيط والتنمية العمرانية، وصب حقائق النماء الأوروبية والدولية في اطار معلوماتي متقدم يمكن من خلاله توحيد المنظورات التنموية الوطنية والاقليمية الراهنة والمستقبلية.

وبناء على هذه الأصول، بدا المؤتمر كمدخل عملي لاستيعاب **ظاهرة وعي وحدة البقاء الانساني المتعاظمة** اليوم من جهة، وجسر حوار علمي خالص وجاد بين مفكري الشرق والغرب والشمال والجنوب، وبخاصة أولئك المعنيين بمسائل النماء الرئيسية من جهة أخرى.

ثانياً: توجهات مؤتمر ايزوب السنوي الرابع ـ ١٩٩٠

بيّن أ. **جيورجيو بيشيناتو** (نائب رئيس منظمة ايزوب) في كلمته الافتتاحية أن: «التغيرات العميقة التي انتابت بلدان أوروبا الشرقية خلال العام الفائت تمثّل حدثاً تاريخياً بارزاً. فهي في الوقت الذي ستتيح لشعوب أوروبا منظوراً مؤملاً بديمقراطية شاملة ورفاه طيب، فإن أثرها لن يصبح فائق الزخم ما لم يَجْر نَظْمُ و (تخطيط) الامكانات والتصورات والجهود وتحريكها بآلية التكامل الأوروبية لتصل القارة الأوروبية من الأطلس إلى الأورال». واعترف **بيشيناتو** بأنه «إذا تركزت اهتمامات التعاون بين طرفي القارة الأوروبية الشرقي والغربي على بلدان أوروبا الشرقية، فإن حلّ صراعات الشرق ـ غرب سيقود إلى توسيع شرخ وثغرة الشمال ـ الجنوب. ومن ثم، فإن تعاون الشرق ـ غرب لا بدّ له أن يوفّر فرصاً حقيقية لرأب الهوة القائمة بين البلدان الغنية والفقيرة».

وجاء في كلمة د. **كلاوس كونتزمان** (رئيس منظمة ايزوب): «إن إنهاء صراعات الشرق ـ غرب يتطلب المزيد من الأشكال المتقدمة، واسعة الأفق، للتعاون ضمن القارة الأوروبية. وبتحقق ذلك تبدأ أوروبا مسيرة انهاء حال استقطاب الشمال ـ الجنوب».

وبناء على هذا الإدراك المتقدم أفاض **كونتزمان** في ايضاح جوانب شعار المؤتمر الرابع. وفي مقدمة ذلك قال: «نرغب من المؤتمر تركيز الاهتمام على المؤشرات الرئيسة لأشكال التعاون بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب. ومن ثم تسليط الضوء على تخطيط نماء الانسان وبيئته، وعلى أسلوب تعليم التخطيط الواجب اتباعه من قبل الأوروبيين بخاصة. كلُّ ذلك على ضوء فرص التعاون الجديدة في مجال التعليم والبحث العلميّ والممارسة الانمائية الجديرة بالاحترام».

وبعد أن فَصَّل ما أسماه **منظور البحر الأبيض المتوسط لتعليم التخطيط والبحث العلمي** فيه (سنأتي على تفصيله لاحقاً)، عبّر د. **انريكو كوستا** (رئيس المؤتمر) عن بعض التساؤلات المكملة للتي أبداها كل من **بيشيناتو** و**كونتزمان** حول المنظور التخطيطي للبنى

الأساسية الخاصة بالبيئة الانسانية والطبيعة التي يتوجب على المؤتمر بحثها تفصيلاً. ومن أبرز تلك التساؤلات:

١ ـ بتفاقم خطر التشوّه البيئي وانفلاته خارج حدود البلدان ليصبح خطراً اقليمياً وعالمياً مُرهِصاً لمجمل كوكبنا الأرضي، **ألا يبدو ضرورياً تقويم هذا الخطر والتخطيط لكبح جماحه عالمياً؟**

٢ ـ عملت مختلف نماذج التنمية في شمال الأرض وجنوبها، بشكل مقصود أم لا، على تسريع وتائر تباين أنماط حياة الانسان على الأرض، فأدّى ذلك إلى تعزيز رسوخ الشرخ القائم بين المجتمعات الغنية والفقيرة، **أوَ ليس من الواجب العمل بشكل موحّد (وفق ظاهرة وعي وحدة البقاء الانساني) على صياغة نماذج نماء عادلة تشمل الأقطار المتقدمة والنامية؟**

٣ ـ لقد تأكد للقاصي والداني على هذا الكوكب أن ثمة سلوكاً تنموياً (هدرياً) ما عبأ بحقيقة نضوب مصادر النماء المتاحة، ومصادر الطاقة التقليدية بخاصة، **ألَم يحن الوقت بعد أن يستبدل هذا السلوك بآخر رشيد، اقتصادي وصحيح، يتفق مع ظاهرة وعي وحدة البقاء الانساني في تبني أشكال جديدة من التعاون والاتجار العادلين؟**

٤ ـ عدا بعض الأحوال الخاصة، تسود حياة الناس، رجالاً ونساء، فقراء وأغنياء، مواطنين ومهاجرين، قادرين وعاجزين، ظروف حياة متفاوتة، وذلك لعوامل قاهرة أهمها: وضع الخدمات العامة، ووسائل الحياة المدنية، والبنى التحتية في مدن أوروبا شرقاً وغرباً، **أليس من العدالة بمكان إيلاء هذه العوامل اهتماماً أوروبياً مشتركاً، وذلك على صعيد التخطيط والانماء؟**

وفي ختام حديثه الشامل عن **تعليم التخطيط في منظور تعليمي متغير**، أشار أ. **كوستا** إلى أن اختيار ريجيو كالابريا، الواقعة في أقصى جنوب أوروبا، لاستضافة المؤتمر إنما انبثق من حقيقة توفير موقع مطلّ على بلدان الجنوب النامية، وأقطار البحر الأبيض المتوسط العربية بخاصة، يكون بمثابة جسر تنتقل عبره الأفكار العلمية والتخطيطية الخالصة بين الشمال والجنوب. والجدير بالذكر، أن د. **اوريول نيللو** (جامعة برشلونة المستقلة) قام في الجزء الباقي من فصل الافتتاح بإبداء منظوره لتعاون الشمال ـ الجنوب في حال أن د. **تشارلز بولوني** (جامعة بودابست) ود. **تاديوش زيبسر** (جامعة روكلاو التقنية) أبديا منظورهما لتعاون الشرق ـ غرب، في ما يخص التساؤلات الرئيسة آنفة الذكر. وفي العروض الثلاثة هذه، لم يرد جديد على ما جاء في كلمات الافتتاح الثلاث الرئيسة، سوى تفاصيل تقنية مفيدة.

ثالثاً: تعليم التخطيط: بين تجارب الأمم وتعاقب الهمم

جلبت التطورات الصناعية والمدنية، التي انتابت مختلف بُنى أوروبا الحضرية والريفية خلال العقود الأخيرة الماضية، عارضاً مَرَضياً مثيراً للقلق في صميم تلك البنى. فرغم الخطط المتقدمة والمحققة وفق المفهوم التقليدي للتخطيط، يتجلى عَرَضُ البنى الحضرية والريفية المرضيّ في اضمحلال متسارع للعلاقة الفيزيائية التي تنظم الحاجة إلى تلك التطورات وضرورة الابقاء على البيئة. لهذا تبدو ثمة حاجة متزايدة إلى المناطق الخضراء مع المساكن والخدمات والمياه الصحية من جهة، وضرورة ملحّة للحفاظ على السمات الحضارية للمدن، بشتى أحجامها، مع الإبقاء على الريف الذي يحوطها من جهة أخرى.

وتشير الدراسات المقارنة المحققة في إطار مؤتمر ايزوب السنوي (١٩٨٧ على هولندا، ١٩٨٨ على ألمانيا الغربية، ١٩٨٩ على فرنسا، و١٩٩٠ على ايطاليا) إلى أن علاج هذا المرض المدني ممكن من خلال تلبية الحاجة إلى **نظام تخطيطي علمي جديد** يحلّ محل عملية التخطيط التقليدية التي يرسي أصولها المصلحية الاقتصاديون ويصور أشكالها المعماريون وينفذها المهندسون على أرض الواقع. وفي هذا الصدد، وانطلاقاً من وجهة نظر خاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط مثلاً، قال أ. **انريكو كوستا**: «عبر عمليات التصنيع والتشابك الحضري، فقدت مدن البحر الأبيض المتوسط ـ وربما كل أنظمة السواحل الحضرية المتوسطية ـ وبشكل متتابع ملامحها الأصيلة وصورها الحضارية المتميزة، الأمر الذي حجب تلك الأنظمة عن التعبير عن معالمها الحضارية الاقليمية والمحلية التي تميزها، فبدلاً عن إظهار ذاتها بشكل متجانس متوسطياً، بدت اليوم موطناً للتآكل والتفسخ الذي نجدهما جليين في معظم مدن البحر الأبيض المتوسط الساحلية... **علماً بأن البحر الأبيض المتوسط كان موطناً تاريخياً للتنوع الحضاري، وللقاء الحضارات المختلفة**...». ويضيف **كوستا** قائلاً: «**ووقفاً لهذا التفسّخ المدني، نحن بحاجة ماسّة إلى استعراض جذري للمبادىء التي ترسى عليها ممارسات تخطيط المدن اليوم**...»[٧]. وتنفيذاً لهذا الوعي استعرض **كوستا** تجربة برنامج مدرسته العليا بجامعة ريجيو كالابريا (برنامج الدراسات العليا في التخطيط الحضري والريفي) خلال ١٥ سنة خلت، حاول فيها، من خلال مواجهة الأعداء ودعم الأصدقاء وعبر التعاون مع البرنامج المذهبي نفسه في جامعة فينيسيا، من تكوين فكر تخطيطي جديد قادر على «تلبية الحاجة الاجتماعية الموضوعية لهذا الفكر ضمن تنمية مدنية متوازنة لا تعتمد فقط على الاستقراءات الخارجية للفكر التخطيطي التقليدي».

وتجدر الاشارة إلى أن برنامجي الدراسات العليا في كل من ريجيو كالابريا وفينيسيا قاما بتخريج ما لا يقل عن ألف مخطّط يحملون رؤية التخطيط الجديد ونظامه. ولكن هؤلاء ـ مع مزيد الأسف ـ لم يعثروا على وظائف تعزّز من مؤهلاتهم في اطار القطاع الايطالي العام الممسك بزمام التخطيط والتنفيذ بشكل رئيس. كما لم يتمكن هؤلاء الخريجون من الانضواء في نظام حرفيّ خاص بهم، كما هو الحال بالنسبة إلى المهندسين والمعماريين الذين يكلفون عادة بوضع الخطط التقليدية. وفي ما يخص رؤية الفكر التخطيطي الجديد المنشود يقول **كوستا** «إن المطلوب من هذا الفكر هو حفز اجراء تخطيط واع لكل ما خطط ونفذ دون وعي حتى الآن». ويمضي قائلاً «لقد صمم المخططون التقليديون خطّطاً فضفاضة، سيئة البنية، بل ميتة، شملت بفكرها آلاف الكيلومترات المربعة من ايطاليا بخاصة... لذا فنحن بأمسّ الحاجة إلى استعراض أساسي للمبادىء التي سترسى عليها ممارسات تخطيط المدن، ليس في ايطاليا فحسب، وإنما في كل من أوروبا، وفي حوض البحر الأبيض المتوسط...» وعلى الصعيد الواقعي يرى **كوستا** أن تحقق ذلك ممكن من خلال صعود عتبة التقدم التالية:

١ ـ الاعتراف تشريعياً بمكان المخططين ودورهم في مسيرة التنمية الحضرية والريفية.

٢ ـ تعزيز فعاليات مؤسسات التخطيط الحديثة، وتوظيف خريجيها في قلب عمليات التخطيط، وتمكينهم من تطوير التعاون بين مخططي المدن والمهندسين والتقنيين.

---

(٧) Enrico Costa, «Planning Education in a Changing Educational Perspective,» paper presented at: 4th AESOP Congress, Reggio Calabria, Italy, 15-17 November 1990.

٣ ـ وضع نظام حرفيّ متقدّم، يحدّد مجال وفعاليات الفكر التخطيطي الجديد، والتركيز على وضع سياسات متقدمة تصعّد من وعي الشباب في هذه الصنعة لهشاشة البيئة وللتفاعلات الرئيسة الناظمة لشتى عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، مع تزويدهم بتدريب متقدم في حرفة التخطيط النامية.

٤ ـ توثيق عرى التفاعل بين الفكرين الأكاديمي والحرفي التخطيطي يمكّن من اعداد المخططين الحضريين في اطار نظام التعليم العالي ليصبحوا قادرين على غزو أنماط جديدة من مجالات الحرفة التخطيطية في منظور بحثيّ ـ تنموي متطور.

وفي الجلسة الختامية العامة لمؤتمر ايزوب السنوي الرابع ـ موضع اهتمام هذا التقويم ـ سلّط د. **سالفاتوري روكا** (رئيس قسم التخطيط الاقليمي الفيزيائي والاقتصادي بوكالة الدراسات والتدريب في المتزوجيورنو) الضوء على بُعد تعليم التخطيط والتنمية. في حين تناوبت د. **جانيس مورفيت** (الأستاذة السابقة في جامعة مدينة بيرمينغهام التقنية بالمملكة المتحدة) ود. **جوان كافري** (رئيسة المجلس الأوروبي لمخططي المدن، بروكسل، بلجيكا) على إغناء أبعاد تعليم التخطيط وحرفة التخطيط وتخطيط التعليم. وبالنسبة إلى البعد الأخير، دعت د. **كافري** كلاًّ من ايزوب والمجلس الأوروبي لمخططي المدن إلى التعاضد في الذود عن ذاتية مخطط المدن، والمبادرة إلى رأب الصدع القائم بين المؤسسات التعليمية الأكاديمية العليا والجهات الممارسة لعمل التخطيط، لأنها ترى أن الوقت الراهن مناسب جداً لوضع منظورات المستقبل والاستخدام الفعّال للفرص التي تتيحها التقنية المعاصرة. وترى **كافري** أن تحقيق ذلك في القريب العاجل سيبدّل الصعاب منافعاً، ويصعّد من ذاتية مخططي المدن ومقدرتهم. أما بصدد الفكر التخطيطي المنشود، فتقول **كافري**: «**نحن نرى التخطيط المدني عملية ابداع انسانية توفر خيارات تخطيط أساسية تتطلبها مسيرات نماء المجتمعات**». وتمضي **كافري قائلة**: «وفي اطار عملية الابداع هذه، يبقى دافعنا الرئيس كامناً في الاستخدام الأفضل للمصادر، وتوفير نوعية بقاء متجددة للبيئات موضع الاهتمام العام. فبفضل مقدرتنا ومعرفتنا ومهاراتنا الفكرية والتقنية والعملية ـ سواء كنا أكاديميين أو ممارسين، سنبرز ذاتنا المبدعة عاجلاً أم آجلاً دون ريب...»[٨]. وفي عرضها لبعد تعليم التخطيط وحرفة التخطيط بيّنت د. **مورفيت** «**أن التحدي الرئيس الذي يتوجب علينا مواجهته ينتمي إلى المبادىء التي يجب أن نزود بها أنفسنا ونحن نجتاز حدود المكان كمخططي مدن**. ومن أبرز تلك المبادىء:

١ ـ تحديد فكر متقدم لتخطيط المدن باعتبار أن هذا التخطيط يشكّل عملية أساسية خلاّقة في المجتمع.

٢ ـ تحديد مجال تخطيط المدن وأدوار وكفاءات وفعاليات الخبراء العاملين فيه.

٣ ـ تحديد ذاتية مخطط المدن الخاصة ودورها ومساهمتها الحرفية.

٤ ـ تحديد مستوى التعليم الأكاديمي العالي المبدئي ومتطلبات التدريب والتهيئة للأطر الشابة في حرفة مخططي المدن.

---

(٨) Joan Caffrey, «The Planning Profession and Planning Education,» paper presented at: Ibid.

٥ ـ تطوير العلاقة بين الممارسة والبحث العلمي التخطيطي بحيث تقود إلى توفير وسائل معينة ترسي الممارسة على أرضية بحثية متجددة تقود في البدء إلى تكوين مؤهلات أكاديمية رفيعة في ميدان تخطيط المدن»[٩].

وتدعو د. **كافري** كلاً من ايزوب والمجلس الأوروبي لمخططي المدن إلى المبادرة والتحرك إلى الأمام لإبراز الذاتية المخططة المنشودة، والتهيئة معاً لحوار معمّق في اطار مؤتمر ايزوب الخامس الذي سينعقد في أوكسفورد (بريطانيا) عام ١٩٩١. وتظهر خطورة إضاعة الوقت في هذا الشأن من خلال ايرادها مقولة لأحد السياسيين الأوروبيين مفادها: «أبشرُ الذين ينظرون في الماضي أو الحاضر كثيراً بأن سيفوتهم المستقبل»[١٠].

رابعاً: آفاق ومجالات التخطيط في عقد التسعينيات

في ما بين منظور الفكر التخطيطي المطروح عبر افتتاح مؤتمر ايزوب السنوي الرابع واختتامه ـ الذي أتينا على عرض معالمه آنفاً في هذا التقويم ـ تركز معظم جهد المؤتمر في عرض المسائل التالية:

١ ـ مسألة تعاون الشمال ـ الجنوب.
٢ ـ التخطيط ومسيرة التنمية.
٣ ـ سياسة التخطيط.
٤ ـ تاريخ التخطيط ونظريته.
٥ ـ تعليم التخطيط.
٦ ـ طرق التخطيط.
٧ ـ التخطيط والتقنيات الحديثة.
٨ ـ تحركية الجامعات والتخطيط.
٩ ـ حرفة التخطيط وتحركها.
١٠ ـ التخطيط في المجتمعات متعددة الأجناس والحضارات.
١١ ـ البيئة والتخطيط.
١٢ ـ النساء في التخطيط.
١٣ ـ التخطيط في العالم الثالث.
١٤ ـ التنمية الاقليمية ومستقبل مناطق أوروبا الريفية.
١٥ ـ تقويم الأثر الاستثماري لقروض المجموعة الأوروبية الهيكلية.

وقد تواكب عرض هذه القضايا في جلسات عمل متخصصة، نورد في ما يلي بعض أبرز معالم الحوار فيها:

---

(٩) Janice Morphet, «Planning Education and Planning Profession,» paper presented at: Ibid.

(١٠) Caffrey, Ibid.

- تعاون الشمال ـ جنوب في العلم والتقنية

يتميز مجتمع العلم والتقنية الايطالي اليوم بتوجهه الانساني الخيّر نحو معاناة أمثاله في العالم النامي والوطن العربي بخاصة من الارهاصات التي باتت تعايشها، وبمبادرته في صنع المناخ السياسي ـ التنموي لدفع مسيرة التعاون بين أقطار الشمال والجنوب في مجالات انماء العلم والتقنية في اطار عقيدة وحدة البقاء الانساني والحفاظ على البيئة التي تحتوي هذا البقاء[١١]. وخير شواهد على ذلك نجدها في المؤشرات التالية:

١ ـ في مقابلة أجرتها جريدة **البيكولو** مؤخراً مع السيد جياني دي ميكيليس (وزير الخارجية الايطالي) قال فيها: «يجب علينا تأكيد مقدرتنا على اخراج سياسة تعاون مع اقليم البحر الأبيض المتوسط ـ بشكل موازٍ مع تكثيف علاقاتنا مع أوروبا الشرقية ـ... ونقترح تخصيص ١ بالمئة من دخلنا الوطني العام بدءاً من عام ١٩٩٢ فصاعداً لصالح التعاون الدولي، أي بدءاً من تحقق السوق الأوروبية الكبرى. ونقترح تخصيص ٠,٢٥ بالمئة لأوروبا الشرقية و٠,٢٥ بالمئة لبلدان البحر الأبيض المتوسط و٠,٥ بالمئة من دخلنا الوطني لأقطار العالم النامي الأخرى...»[١٢].

٢ ـ المشاركة بشكل فعّال في معظم توجهات التعاون في هذا الشأن، وبخاصة في أعمال ونشاطات «المركز الدولي للفيزياء النظرية» في تريستي الايطالية، التي تتحرك وفق منظور أ. محمد عبد السلام حول تحقيق **عقيدة وحدة البقاء الانساني** والبيئة الأرضية الخيّرة، وبخاصة ذلك الذي تبدّى في اطار مؤتمر التعاون في مجال العلم والتقنية الرفيعة والبيئة بين بلدان شمال البحر الأبيض المتوسط وجنوبه، الذي تم انعقاده قبل أيام من انعقاد مؤتمر ايزوب السنوي الرابع هذا[١٣].

٣ ـ عقيدة مؤتمر ايزوب السنوي الرابع المرتكزة إلى ضرورة **إرساء نظام التخطيط العلمي المنشود على حقوق وحدة البقاء الانساني والحفاظ على بيئتنا الأرضية الطيبة**، وذلك أمر لمسناه في مختلف نشاطات المؤتمر، اضافة إلى تخصيص فصول بذاتها لبحث تناغم جهود التخطيط وتعليمه في اطار عالمي موحد، وبخاصة في نطاق اقليم حوض البحر الأبيض المتوسط، وذلك على النحو الذي وصفناه سابقاً من هذا المقال.

ويأتي اعطاء منبر الكلام لـ د. أحمد عمر يوسف (مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ـ أليسكو) في يوم افتتاح المؤتمر خير دليل على تقدير مكانة المجتمع العلمي والتقني العربي، والرغبة في نقل رسالة هذا المجتمع إلى مجتمع العلم والتقنية الأوروبي حضور هذا المؤتمر. وذلك اضافة إلى الوزن المعتبر الذي أولي للمشاركة البحثية العربية المتخصصة من جهة ولرسالة اللجنة التأسيسية لـ «الأكاديمية العربية للعلوم» التي ألقيت في فصل التخطيط والتنمية لهذا المؤتمر من جهة أخرى.

---

(١١) Adnan Mustafa, Comments on: Conference on Cooperation in Science and High Technology and Environment between North and South Mediterranean Countries, Trieste, Italy, 1990.

(١٢) المصدر نفسه.

(١٣) Mohammad Abdus Salam, «Opening Statement,» paper presented at: Conference on Cooperation in Science and High Technology and Environment between North and South Mediterranean Countries, Trieste, Italy, 1990.

وفي تعبيره عن رغبة العرب في صنع تعاون عربي - أوروبي مُنَهَّج ركّز د. **أحمد عمر يوسف** على **مجالات تعاون فضلى هي: (١) بحوث الطاقة وتطويرها، (٢) الاتصالات، (٣) الاستشعار عن بعد، (٤) استغلال التقنيات الحيوية في تطوير الزراعة العربية، و (٥) تخطيط تطويع التقنية بين الشمال والجنوب.** وأكد د. **يوسف** أنه في الوقت الذي يشعر أهل الجنوب عامة، والعرب خاصة، باللوم الذاتي في أمر التخلّف الذي ينتابهم فإن سكان بلدان الشمال من جهة أخرى «**يتوجب عليهم إدراك أن مصالحهم الاقتصادية في المنظورين العاجل والآجل يمكن تحقيقها من خلال عقيدة وحدة البقاء الانساني والعمل لهذه العقيدة من خلال التعاون المخلص في المجالات آنفة الذكر وبخاصة أمر تطويع التقنية...**»[١٤].

وفي ختام كلمته بيّن د. يوسف أن منظمة اليكسو العربية قد عمدت مؤخراً إلى احداث «المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر» بهدف تحقيق بحوث تخص انماء التعليم العالي العربي وتصعيد التعاون العربي - العربي والعربي - الدولي في شتى مجالات التعليم العالي والبحث العلمي.

وحول مسألة تعاون أقطار شمال حوض البحر الأبيض المتوسط وجنوبه، **أظهرت رئاسة مؤتمر ايزوب الرابع اهتماماً جاداً بفتح باب الحوار حول مقترحات التعاون بين منظمة ايزوب من جهة وكل من المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر واللجنة التأسيسية لـ «الأكاديمية العربية للعلوم» من جهة أخرى، وذلك في مجال تصعيد وتيرة الحوار الفكري بين العرب والأوروبيين عموماً، وتعميق مسيرة الاعتماد المتبادل بينهما في مجال بحوث الطاقة، وتطوير تقنياتها العصرية خصوصاً.**

- التخطيط ومسيرات نماء بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط وتطور اعتمادها المتبادل

ليس ثمة تنمية وطنية تتم فعلاً دون تخطيط على هذا الكوكب اليوم، وذلك سلوك متقدم لدفع مسيرة بقائنا قُدماً إلى الأمام دون ريب. ومنذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم، حملت نهج التخطيط العصرية لواء أمل البشرية نحو بلوغ آفاق وردية رسمت ملامحها عقائد مدارس التخطيط التقليدية السائدة اليوم، **فهل حققت تلك المدارس رؤاها؟**

لا بد من الاعتراف بأن مجمل فكر مؤتمر ايزوب الرابع قد تركز للإجابة عن التساؤل، وذلك بعد أن أظهرت كلمات الافتتاح العامة وبحوث المؤتمر كلها، وبخاصة تلك التي عرضت في فصول: التخطيط ومسيرة التنمية، التخطيط في العالم الثالث، والبيئة والتخطيط، أن كلمة «لا» تشكّل أفصح جواب عن التساؤل آنف الذكر، ويستمد الجواب المؤسف هذا موثوقيته من: **تفشّي منغصات بقاء الانسان ومحبطات سويات حياته، وتعاظم ارتيابات فلاح خطط نماء مجتمعاته، وتكشّفات اختلال البنى الريفية - الحضرية الوطنية، وبخاصة تلك التي تسود اليوم في المجتمعات النامية (كالهجرة المتسارعة من الريف إلى المناطق الحضرية)، وتفجّرات ظاهرة اللاجئين والنازحين على الصعيدين الاقليمي والعالمي، والتشويه المطّرد لإرث المراكز**

(١٤) Ahmad Omar Youssef, «Opening Statement,» paper presented at: 4th AESOP Congress, Reggio Calabria, Italy, 15-17 November 1990.

المدنية والحضرية (بتشويه الملامح التاريخية والبيئية والمصدرية لنمط مدن حوض البحر الأبيض المتوسط الفريد)، وكسوف شمس حقيقة الاعتماد المتبادل بين أقاليم العالم المختلفة (كما هو الحال بين شعوب أوروبا والشعب العربي). ومع الصعود الآسيّ لمعدل نمو المراكز الحضرية في العالم، تتشابك المؤثرات السلبية آنفة الذكر[١٥] لتظهر جلياً مدى **الحاجة إلى منظور تخطيط حضري جديد مشرق**[١٦]. وتأكيداً لهذه الحقيقة قال أ. **تشارلز تشوغيل** (جامعة شيفيلد، بريطانيا): «عبر عقود ثلاثة خلت، نُظر إلى المأوى في العالم الثالث كسلاح فعّال في الصراع من أجل تحسين معايير الحياة بين فقراء الحضر. ورغم المبادهة بسياسات مثيرة لتحسين امكانية الاسكان في أقطار مختلفة من العالم، فإن فعالية تطبيق تلك السياسات كانت، لأسباب عديدة وليدة المؤثرات آنفة الذكر، مخيبة للآمال». ويمضي **تشوغيل** قائلاً: «لذا فإن ثمة برامج تحضير مؤملة بدت تتحرك اليوم في اتجاهات جديدة، في حال **أن المضي في تطبيق الأنماط التقليدية للإنماء الحضري سيؤدي في المدى العاجل إلى فشل ذريع في صنع التميز المنشود بين أنظمة المدن (أي الأنظمة الحضرية) والأنظمة الشعبية الثانوية رخيصة الكلفة**[١٧].

وفي بحثه المثير للتقدير حول البحث عن نمط واقعي لصنع هذا التميّز، عرض د. **طاهر الصادق** (وكيل كلية التخطيط الاقليمي والعمراني، جامعة القاهرة) تقويماً دقيقاً للفرص الكبرى التي يتيحها التخطيط العصري لمواقع التوطن الحضري الثانوي (أي المدن الثانوية)، اضافة إلى دورها المؤثر في تطوير الاقتصاد الوطني. وفي ما يخص مصر يقول **الصادق**: «ثمة استراتيجيات خمس يمكن مصر اعتمادها بغية الخروج من دائرة المشكلات الحضرية الشريرة التي يعيشها الناس وهي:

١ ـ تركيز جهود التخطيط والمصادر لمساعدة المدن الرئيسة (أي المدن الأولية) في حلّ مشاكلها الراهنة.

٢ ـ انماء مدن جديدة لجذب الفائض السكاني المتعاظم في المراكز الحضرية والاسهام في تخفيف أعبائها.

٣ ـ تعزيز جهود انماء المستوطنات الحضرية الثانوية.

٤ ـ البدء بإنشاء مستوطنات ريفية جديدة في المناطق الصحراوية التي يمكن أن تعمل بشكل مكمل في الاقتصاد الوطني.

٥ ـ تركيز قدر كبير من الفعاليات الاقتصادية، والمركبات الصناعية بخاصة، في المراكز الحضرية التي تحظى بإمكانات تنموية معتبرة (من منظور البنى التحتية، والخدمات، واليد العاملة الماهرة... الخ)»[١٨].

---

(١٥) C. Beguinot and G. Jalongo, «Third World Planning: Problems and Experiences,»; S. Nebel, «Changing Complementarity of Indoor and Outdoor Living Space,» and F. Alikhan, S. Prasad and C. Moughtin, «Squatter Upgrading,» papers presented at: Ibid.

(١٦) L. Albrechts, «Problems of Hyperurbanization,» paper presented at: Ibid.

(١٧) Charles Choguill, «Planned Urban Development in the Third World: New Directions?» paper presented at: Ibid.

(١٨) M.T. Elsadek, «Secondary Cities and their Impact on the Development of Third World Countries,» paper presented at: Ibid.

هذا وقد أظهرت د. **عزّة رزق** (كلية التخطيط الاقليمي والعمراني، جامعة القاهرة) جوانب مثيرة من حقائق يتوجب أخذها بعين الاعتبار لدى التخطيط لوضع الاستراتيجيات الخمس آنفة الذكر موضع التنفيذ، ليس في مصر فحسب، وإنما في معظم أقطار العالم الثالث[١٩].

وإذ تُبدي شتى سلوكيات تعاون أمم حوض البحر الأبيض المتوسط ـ السائدة منذ منتصف عقد السبعينيات، وحتى اليوم ـ تعبيراً عملياً عن إدراك شعوب هذه المنطقة الحضارية المميزة لحقيقة «**وحدة البقاء الانساني**»، يبقى وعيها العملي المباشر لقدر «الاعتماد المتبادل» الحاكم لوجودها هو المحرك الرئيس لآليات تلك السلوكيات.

وفي بحثنا عن وقود متجدد يجر قدماً مسيرة الاعتماد المتبادل بين أوروبا والوطن العربي بيّنا أن **هذا المصدر المتجدد كامن في أرضية حاجة الطرفين لتعاون معزز في مجالات العلم والتقنية الرفيعة، وفي مجال بحوث الطاقة وتطويرها بشكل خاص**[٢٠]. فعلى هذا الجسر الراسخ يتسنّى للأوروبيين والعرب نقل تعابيرهم الثقافية والحضرية والتنموية عبر الهوة السحيقة الفاصلة بين نمائهما الانساني السائد اليوم، والذي يمكننا ايضاحه جلياً من خلال مضاهاة (مؤشر النماء الانساني ـ (Human Development Index-(HDI) لكل منهما عند بداية عقد التسعينيات. وعلى الطرف العربي لجسر التعاون المعزز المنظور، يبدو أن العرب سيكونون في وضع قادر على عبور تجربة جديدة من التعاون العلمي الجاد **نتيجة تحرك أبناء مجتمع العلم والتقنية العربي ـ قبيل أفول عقد الثمانينيات ـ باتجاه صنع تلاحمهم واشتراكهم الفعلي في مسيرة النماء العربية**[٢١]. وفي الوقت الذي يبدو نظام التخطيط العلمي أساسياً لتطوير شتى البنى الحضرية، فقد دعَوْنا إلى إيلاء تطوير الفكر الأكاديمي في هذا الميدان أهمية، بحيث يتمكن من ارساء البعد الطاقي للتنمية على أصول واقعية متقدمة واعية لحقائق مرحلة الانتقال الطاقية التي تعايشنا اليوم[٢٢]. أما المسائل الرئيسة الواجب تركيز جهود التعاون العلمي والتقني العربي ـ الأوروبي عليها فهي:

١ ـ اعادة تقويم مصادر الوقود الحفرية التقليدية بهدف تخطيط استغلالها بشكل أفضل.

٢ ـ تخطيط ممارسات عصرية في مجال الحفاظ على الطاقة.

٣ ـ تقويم واقع صناعات الطاقة العربية بغية تخطيط تطويرها وعصرنتها في المنظور العاجل.

٤ ـ تقويم «وفرة» جيل جديد من تقنيات الطاقة الجديدة والمتجددة لإدخالها في نظام الطاقة العربي.

٥ ـ دراسة الآثار التي ترسيها صناعة الطاقة على الحياة والطبيعة.

٦ ـ تقويم وفرة مصادر الوقود النووية العربية. فتأكيد وفرة مصادر اليورانيوم العربية يمكن

---

(١٩) Azza H. Rizk, «Planning Practice in the Third World and the Role of the Planner,» paper presented at: Ibid.

(٢٠) Adnan Mustafa, «The Arab - European Cooperation in Science and Technology: A Bridge for a Sustained Interdependence,» paper presented at: Ibid.

(٢١) Andy Thornley, «Property or People?» paper presented at: Ibid.

(٢٢) T. Kalbro, «The Land Development Process: A Comparison between Scotland, Sweden and USA,» paper presented at: Ibid.

أن يمنح أقطار حوض البحر الأبيض المتوسط قفزة كمومية عبر مرحلة الانتقال الطاقية الراهنة.

٧ ـ اعادة تقويم كل برامج توليد الطاقة الكهرونـووية العـربية المخططـة اليوم، وذلـك في ضوء مفاهيم اعتماد متبادل عملية.

والجدير بالذكر، **أن المؤتمر قـد أبدى قبـولاً مميزاً لهـذا التطلّع، وتـوجهاً كبيـراً لصبّ المعرفة التخطيطية العصرية التي يقودها ايزوب في هذا الصدد.** فلقد بدا جلياً أن تحقيق مثل هذه المهام عبر جهد عربي ـ أوروبي مشترك، سيوفّر مركب اعتمادٍ متبـادل قوي قـادر على تجـاوز أي هـزّات طاقيـة خفيـة، ليس في أقـاليم أوروبـا فحسب، بـل في أي منطقـة من منـاطق عـالمنـا المُرهص»[٢٣].

خامساً: تطلعات و آمال: مؤتمر ايزوب الخامس

إضافة إلى الآراء الرئيسة، التي سبق عـرضها في هـذا التقويم، تـأتي بقية عـروض ايزوب الرابع البحثية لترسم صورة شاملة، إنما متباعدة الملامح، لحال نظام التخطيط التقليـدي السائـد اليوم. ومع أن عرض تجارب ممارسة مهنة التخطيط قد ربط أنحـاء كثيرة من تلـك الملامـح إلا أن معالم نظام التخطيط العصري الملتزم بتطلعات منظمة ايزوب وآمالها لم تزل بحاجة إلى ايضاح[٢٤]. وإحساساً بهذا الواقع، بدأ جميع القائمين على ادارة مؤتمر ايزوب الرابع وكل من في المسؤولية في منظمة ايزوب، يدعو إلى مزيد من التعمّق في التفكير في آفاق جديدة يمكن عرضها مفصلاً في مؤتمر ايزوب الخامس المزمع عقده في رحاب جامعة اوكسفورد عام ١٩٩١. **ولهـذا بَدَت فصـول ايزوب الرابع وكأنها نقاط التقاء بحثي، ومنطلق تهيئة وطيد لما هو منتظر أن يكون في أوكسفـورد. كما كانت تلك الفصول فرصة فتح حوار للتعاون بين منظمة ايزوب وجامعة ريجيو كالابـريا من جهـة والمركـز العـربي للتعـريب والتـرجمـة والتـاليف والنشر واللجنـة التـأسيسيـة للأكاديمية العربية للعلوم من جهة أخرى. وعبر هذا الحوار تم التوصل إلى مسودة «مذكرة تفاهم» حول التعاون المنظور بين الجانبـين العربي والأوروبي، إذ ينتظـر أن يشهد ايـزوب الخامس بداية وضعها موضع التنفيذ بإذن الله** □

---

(٢٣) Mustafa, «The Arab - European Cooperation in Science and Technology: A Bridge for a Sustained Interdependence».

(٢٤) Thornley, «Property or People?»; Kalbro, Ibid. Luca Marescotti, «A Project for the Formulation of a Planning Theory,» paper presented at: 4th AESOP Congress, Reggio Calabria, Italy, 15-17 November 1990, and A. Khakee and K. Stromberg, «Applying Futures Studies and Strategic Choice in Urban Planning,» paper presented at: Ibid.